

**ماركيز**

**الجزء السّادس**

**الدكتور مزوار محمد سعيد**

استيقظ ماركيز فزعا تلك الليلة، مطلقا صرخة دوَّت في كلِّ أرجاء البيت الكبير، هي جملة وحيدة لطالما زارته في أحلامه على اختلافها، مفادها: "لا يكتمِل العقل، إلاَّ بالجنون!" وجد بعدها نفسه جالسًا يردد العبارة ذاتها بصوت خافت، ثمَّ زحف في الظلام نحو النافذة أين أشعل سيجارة تناولها مِن فوق الطاولة المحاذية لسريره، قبل أن يشعل النور ويجلس إلى مكتبه في زاوية غرفته الواسعة، فتح حاسوبه وكتب قائلا:

ولدتُ في بئر شديدة الظلمة، فوجدتُ عمقي يحبُّ النور حدَّ الهوس، وهذا ما دفعني باتجاه المكتبات وَالكتب، أقرأ امتثالا لذلك الأمر الإلـهي الذي اعتقدُ يقينا بأنَّه الخلاص الذي يجمع البدء والمآل النهائي الخالص معًا، ولمَّا تعبتُ قررتُ أن أكتب ما حمله جوفي مِن معاناة وصبر على الكلمات، بَيْدَ أنَّني وجدتُ نفسي في كارثة أعظم، فالكاتِب هو جريء لا يشق له غبار في قواميس القراصنة، وهذا ما أوقعني في مشاكل عديدة لا حصر لها، عقوباتها شديدة الوَقْع على الأرواح، تتراوح بين الهجران، الفقدان وخسارة ما يسكنني مِن إنسانية.

كنبتة صغيرة تقاوِم بمفردها محيطها مِن الإسفلت حاولتُ أن أحفر طريقي بإرادتي، فكان لي نصيبٌ مِن الوقوع والنهوض، مِن الجمود والجحود، مِن الرزايا والمزايا، وهي كلُّها نباتات تقاوم بيداء الداخل وصحراء المداخل، لترسم على خرائط العزائم أجمل القصص والمسارات، لكنّها تتلخص في قيمة واحدة واضحة بعنوان: هنا المسير، وما عليك سوى إكمال البحث عن المصير.

كلُّ الرحلات التي دوَّنتها صفحات الثقافات بدأت مِن حُلمٍ يتقد في عمق الفرد، فَيؤمِن بضرورة تحقيقه، يسترسل في رسم المخططات تعبيرا عن خطط لتجسيده، يتلقى الكثير مِن العراقيل والمشاكسات حينما تدقُّ ساعته، يخاف بداية، تنتابه رغبة في التراجع والركض نحو أحضان المألوف، يلاحقه شبحُ الخشية مِن الفشل، الشماتة وتوهُّمُ مذاق الخسارة، بعدها يجد ماركيز الصغير بداخلي نفسه يواجه ذاته مِن جديد، ليقفز خارج تلك البئر، ويسير نحو النور ثانية، نحو النَّجاح.

أنهى تدخين السيجارة، وضع الحاسوب جانبا؛ قام متثاقلا نحو فراشه الذي يغلي مِن شدَّة الحرارة، غرفته بلا مكيفات، وشهر يونيو حار للغاية على بلاد القراصنة، وضع جسمه البارد كثلوج قمم الجبال السويسرية في مكانه المعتاد، أطفأ الأنوار، وراح يغمض عينيْه

فيستحضر في حالة ما بين اليقظة والنوم الكثير مِن أفكاره الثورية، تلك التي أوقعته في المشاكل قبل أن تتحوَّل تلك الحوادث التي اتخذت مظهر المشاكل إلى إنجازات، لتجعله في موضع الحسد الذي سرعان ما تحوَّل إلى أحقاد تأكل أصحابها كما يأكل الصدأ الحديد.

بعدها راح ماركيز والظلمة تحيط به يهمسُ لنفسه بصوت مبحوح للغاية، الساعة تقترب، تقترب بسرعة جنونية، ساعة القرار الذي لطالما انتظرتُه تكاد تدقُّ عقاربه على باب الموعد النهائي أمام ذاكرتي، فيكون عليَّ أن أختار بين المقبرة الاجتماعية فأصبح قرصانا عاديا للغاية، أو أقرر ركوب البيكاسوس فأصبح كائنا يطير متخطيا الحُجُبَ والظروف على اختلافها، الاختيار الأوَّل يؤذي ذاتي إلى الأبد، بينما الثاني يؤذي غيري إلى الأبد أيضا، ولن يسامحوني بعدها أبدا.

صعبٌ جدا، أن يقف الإنسان بين اختيار الذات التي يحبها بالفطرة، وما بين الأحباء الذين لطالما أحبهم منذ الصغر، ما بين أحلامه وقيمة الوفاء لغيره.

إنَّ تلك الرغبة الجامحة في السير على الحبال كالبهلوان على علوٍّ رهيب، فوق كتل اللهب هي الطريقة التي تثير في ماركيز الحماس والنَّشاط، فلطالما كان مغامرا وغير قابل للرضى بحلقة الرفاهية أو منطقة الأمان، لكن ما هو مقبل عليه هذه المرَّة هي ضربة إمَّا ترفعه إلى النور فيودِّع البئر نهائيا، أو تسجنه في ظلام تلك البئر دائما ودفعة واحدة بشكل خالدٍ.

- أهلا صديقي ماركيز، مرحبا بك إلى طاولتي، تفضل مِن فضلك.
- أهلا وسهلا، يزيد فضلك يا أخي، كيف حالك؟
- والله بخير والحمد لله، كيف حالك أنت؟
- كما ترى، أنا في أفضل حال، هههههه
- ينادي ماركيز النادل: هيييي، هل يمكنني الحصول على كوب من النبيذ الأحمر (**CUVÉE DE TLEMCEN**)؟ لا تخلطه مع أيِّ شيء آخر لو سمحت!
- أهااا لا تزال تحب النبيذ العتيق يا أخي ماركيز، لم يؤثر عليْك الزَّمن كثيرا كما أرى!
- طبعا هو يؤثر، لقد صار جسمي متثاقلا أكثر، ظهرت بعض الشعيرات البيضاء على لحيتي، شواربي وشعر رأسي، فماذا تسمي هذا إن لم يكن تأثيرا للزمن عليّ؟

- أقصد روحك، لا تزال شابا بروحك يا أستاذي ماركيز

يستغرق ماركيز في ضحك عنيف قبل أن يلتفت إليَّ متسائلا:

- كيف حال روحك إذن؟
- لا تزال ثاقب الملاحظة، هذا هو سبب إصراري على مقابلتك يا ماركيزي العزيز، أشعر أنَّني لستُ بخير، رغم أنَّي لم أجد داعٍ لهذا الشُّعور، فأنا شاب، قوي البنية، يهتم بعمله وبدنه، يقرأ الكثير، يكتب أكثر ومع ذلك ينتابني شعور غريب، هو قريب إلى الانزعاج من قربه إلى مشاعر أخرى، فما رأيك؟

أخذ ماركيز رشفة مِن ذلك النبيذ الغريب، ذا اللون الأحمر الغامق، ذلك اللون الذي يشبه السواد، سرح بنظره في وجهي قليل في صمت، أخذ نَفَسًا بدا لي عميقا، قبل أن يجيبني قائلا:

- هل تعرف "شيرين سيد محمد عبد الوهاب"؟
- إن كنتَ تقصدُ تلك المغنية المصرية فأنا أعرفها.
- نعم! هي بالذات، ورغم أنني لا أميل لا للثقافة المصرية رغم العبقرية التي تلفها، ولا للموسيقى المصرية رغم عراقتها، إلاَّ أنَّ كلمات أغنيتها "مشاعر" تصلح للإجابة عن سؤالكَ الفلسفي هذا.
لطالما اعتبرتُ الإنسان عبارة عن فِكرة (**Idee**)، وعبر تسلسل منطقي أرسطي بسيط، يمكننا أن نضيف لكلمة فِكرة عبر تفسير أوَّلي لها، كلمة محورية جديدة هي كلمة "شعور" (**Gefühl**)، وبذلك يصبح الإنسان ذا جانب عقلي عبر الفِكرة، وجانب تخيلي عبر الشعور.

بينما إن سألتني عن ماهية الشعور، فإنّني لا أستطيع إجابتك بالتحديد، هو غير قابل للضبط أو الحصر، وإن ما اعملتَ منطقك العقلي الخالص فيه، فأنت تكون بهذا أبعد عن الشعور في حين أنَّك تحاول الاقتراب مِن فهمه.

الشعور يا أخي، هو اختطاف لروحك بلا مقدمات ولا معايير ولا حتى شروط أو ظروف تجعله يستيقظ كلما توفرت له، هو يباغتك ثم ينقضي، مَثَله كمَثَل جذوة نار توقد في صحرائك المظلمة ثم تنطفئ.

خرجتُ مِن مكان عملي ذات يوم وأنا عازمٌ على الاتصال بحبيبتي السابقة، كي أعلمها بأنَّ موعد نهاية علاقتنا تلك قد حان، تخيَّل! بينما أنا أحمل هاتفي محاولا الاتصال بها، إذ بها تسبقني، اتصلت بي وهي في حالة نفسية شديدة التأثر، وقبل أن أهيئ الأمر لأصل

إلى إلقاء ذلك الخبر على مسامعها، إذْ بها تسبقني قائلة: أخشى أن تتركني يا ماركيز يوما ما.

بلغت دهشتي ذروتها، كيف عرفت أنني سأتركها؟ حاولتُ أن أعرف ما الذي جعلها تقول لي هذا الكلام اليوم بالذات قبل الغد؟ كانت إجابتها أنها حلمت في الليلة السابقة، بأنني تركتها لأتزوج احدى صديقاتها، وأنها استيقظت صباحا وهي تحت تأثير صدمة عنيفة، تركت نفسها تهدأ قليلا، قبل أن تتصل بي طالبة مني المواساة!

أليس غريبا يا أخي/صديقي أن تكون الصدفة هي التي تلعب بمشاعرنا إلى هذا الحد؟ الأمر ليس بيد الإنسان، هي الأقدار تسخر منا كما تريد، وتلعب بمصائرنا كما تشاء، والفائز عليها، هو ذلك الإنسان الذي روَّض ما يدورُ ما بداخله مِن مشاعر خِدمَة لعقله.

يقف الأستاذ ماركيز عند مفترق الطرق، محتارا بين أيّ مِن الطريقيْن يرغب باتباعها، هو يدرك مسبقا أنَّه بمجرَّد خطوِه للخطوة الأولى، يُسَد الباب خلفه، فيصبح بلا سبيل للرجوع، وهذا ما يقلقه أكثر، ففي الكثير مِن الأوقات ترغمنا الحياة على تكبُّد بعض الخسائر المعنوية بقية أيامنا، خاصة إن ما تعلَّق الأمر باتخاذ بعض القرارات المصيرية، تلك التي تكون بمثابة حجارة الأساسات بالنسبة لكلِّ ما سيأتي بعدها.

لقد مرَّ الأستاذ ماركيز بالكثير مِن هذه التجارب، لهذا هو يعرف ما معنى أن يتخذ المرء قرارا حاسما، فتقع عليه تبعاته وحيدا، كما سبق له وأن تذوق مِن الكأس نفسها، تلك التي هو مستعد لتذوقها مجددا هذه المرة، هو يفهم ما معنى أن تكون الخسارة الكبرى في المرحلة المقبلة من حياته، العائلة؛ نعم! ستكلفه الخطوة التالية خسارة تقدَّر بالعائلة/الأسرة الصغيرة، دفعة واحدة وإلى الأبد.

عندما تحصر قطا في الزاوية بدون أن تترك له أيَّ منفذ، فأنت تصنع منه وحشا ضاريا، سرعان ما يهاجمك بكل ما يملك مِن قوى، وهذه هي الحال التي وجد ماركيز نفسه فيها، بعد سنوات من محاولاته الكثيرة للتفاوض مع القراصنة الذين يتكاثرون حوله كما تتكاثر نباتات الفطر، لكنَّ النقطة الأصعب في الموضوع كلِّه، هي تلك المتعلقة بالخسارة، بالتكلفة، لأنَّ المرء يفقد جزء كبيرا من وعيه، عندما يجد نفسه يفكِّر في اختيار احدى النتيجتيْن، إمَّا حياته عبر تمرده، أو اذعانه عبر استسلامه.

ما نعرفه جيِّدًا عن ماركيز أنَّه لحد الساعة، لم يستسلم، لم يتراجع ولم يذعن أبدا لأمور كثيرة، رغم التكاليف التي دفعها روحيا ومعنويا، فقد بقي هذا الإنسان مقاوما بكل ما

يملك مِن قدرة على فرض الذات والابتعاد عن المغالاة، لقد فهم الأستاذ ماركيز بأنَّ الأهداف لا تتحقق سوى بالمشقة الرهيبة، لهذا هو مِن طينة مَن يكسرون الحواجز على اختلافها، مِن أجل الوصول إلى مبتغاهم، ولطالما دفع هذا الرجل أثمانا باهظة أثناء تصحيحه لمساره في الحياة.

سرى تشنج غريب في قدم الأستاذ ماركيز فمدَّها بشكل طولي، وضع كتاب "طوق الحمامة" لكاتبه علي بن حزم الأندلسي بجانبه، تأمَّل كلَّ مقتنياته وأثاث غرفته من حوله، أخذ شهقة مفعمة بالأمل، قبل أن يواصل تفكيره في الحالة التي يواجه تداعياتها، يا لها مِن حالة صعبة!

لا يمكن أن يترك ماركيز الآخرين يرسمون له الجزء الأهم مِن حياته بهذا الشَّكل، حتى ولو كان هؤلاء أحب الناس إليه، لكن وبالمقابل، هو يدرك بأنَّ امتناعه عن الخوض في هكذا مشاريع "اجتماعية" في وسط القراصنة، ستكون فواتيره لا تطاق، عليه إذن أن يساير الوضع حتى يجد حلا مرضيا، ولكن عامل الزمن يفرض نفسه بقوة، هو يتجه إلى مرحلة الكهولة بشكل سريع، مغادرا مرحلة الشباب بطريقة أسرع، وبهذا الشكل يكون تحت ضغط أكثر من رهيب.

الحل الوحيد الذي بقي له، يجعله يخسر والديْه والإخوة دفعة واحدة، سيكون الأمر صعبا عليه بداية، لكن بمرور الزمن سيتعافى بشكل سطحي، لأنَّ الندوب الروحية التي ستنتج عن الخطوة المقبلة في حياته، ستجعله يعاني منها بقية أيامه؛ وهنا مكمن الخطر، لهذا وباختصار: على ماركيز أن يكون كثير الشجاعة وأكثر دقة في حساباته، فالأمر متوقف على تلك التفاصيل التي لا يميِّزها الآن بوضوح للأسف!

التمرُّد صفة متصلة بدماء النبلاء على أرض القراصنة مثل ماركيز، لهذا لا تنتظر مِن هؤلاء الكبار أن ينتظروا الوفاة وهُم مكتوفي الأيدي، حتى أنَّ الواقع الذي يتعقد مِن حولهم يوما بعد يوم، هو ما يغذي فيهم ذلك التمرد دون حتى أن يدري.

تفاعلات روحية كثيرة تجذب ماركيز نحو قاعِ الحياة، تجعله ينهمك في تفاصيل يومياته الدقيقة، تعيد رصف الكثير مِن التَّقلبات النفسية، لربما تمكَّن ولو للحظات مِن الاقتراب ولو ببطءِ مِن تلك الأهداف التي تمَّ تسطيرها عن عمد بين قضبان الأرواح الكثيرة التي تشهد الكثير مِن هواجس العيش هي أيضا.

هو جِسمُ ماركيز الذي يتهالك تحت وطأة الضغوطات المختلفة، وهي رباطة جأشه التي تأبى أن تنكسر في مواجهة أمواج العفن الذي راكمه القراصنة مِن حوله عبر عصور مختلفة، الأمر يزداد تعقيدا في وسطٍ لم يعد يبالي بانتحار القيم ولا بسجن الأخلاق بلا تهم ولا محاكمات.

للأمانة؛ ماركيز لم يستسلم بعد، لا يزال يحاول النجاة مِن مصيره المحتوم على أراضي القراصنة المذمومة، لا يزال يعلِّقُ أمانيه التي يحاول تحويلها إلى أهداف مؤجَّلَة التحقيق كلما سمحت له الفرصة لذلك، وهذا ما يدفعه إلى التفكير بشكل أعمق وبجدية لا نظير لها، فكلما اقتربت ساعة التنفيذ ازداد الضغط على العقل الماركيزي لعله يسرع الخطى باتجاه المنافذ، تلك التي تبدوا لحد الآن، قريبة مِن المستحيل.

يكره ماركيز لحظات عجزه بشكل خرافي، لا لشيء سوى لأنَّها تذكِّره بضعفه، هو لا يحتمل فِكرة أن يبقى معطوب الأمل، مكتوف الطموح أو عاجزا عن رفع الأماني إلى مصاف الواقع، كلُّ هذا يبرر كره ماركيز الذي لا مثيل له للعجز كفكرة وأداة؛ كواقع وافتراء.

تُبنى الحياة على أعمدة خيالية في عُرف ماركيز، ما نرثه عن الأسلاف هي تلك الترسبات التي بدت لهم صائبة يومها، لأنَّها تكررت بشكل مناسب لعدَّة مرات وِفق مبدأ الحتمية الثقافية، وهذا ما أكسبها قداسة مهولة بمرور الوقت، إنَّها شرعية التعارف بالتكرار، ومشروعية اليقين بالتلقين، وهي بذلك تفرض على ماركيز استعمال راية التمرد عليها لأجل بناء ما يراه مناسبا له، عبر ما يحمله مِن أدوات تراكمت عبر رحلة تكوينه المعرفية الشاقة من جهة، أو عبر تجاربه اليومية التي كانت نتيجة لدموع وأفراح على طول ما مضى مِن عمره مِن جهة أخرى.

أن يفهم الإنسان ما يدور حوله على "الجنة ما وراء البحر" أسهل بكثير مِن بقائه جاهلا بمجريات الوقائع، لأنَّ الأمر كما هو ظاهر لا يخلو مِن تلك الإبر التي تخز العقول وتخدر الضمائر لصالح تجمعات وكتل بشرية تُساق بالكرباج الذي لا يرحم، تلك الطريقة التي تعتبر العقل الذي يشتغل ولو بشكل غير دقيق العدو الأوَّل للبقاء القرصاني اللئيم.

يكاد ماركيز ينفجر بسبب كثرة التفاهة التي يسبح فيها معظم معارفه مِن قومه، تلك الديانة الجديدة التي صار لها أتباعا وأنصارا منتشرين عبر مختلف الأقطار والأمصار، لقد أعلن الأستاذ ماركيز منذ زمن ليس بقريب عن نياته محاربة هكذا تفاهات مهما كلفه

الأمر من تكاليف غالية، لكن بعد مدَّة زمنية ليست بالطويلة مِن إعلانه ذاك، اكتشف ماركيز بأنَّه يحاول محاربة آلة اعتادت على سحق أشباهه منذ نموها وتجبرها، فلجأ إلى الانكباب على طريقة أخرى لتخليص نفسه مِن أخطبوط التفاهة هذا، ليعمل في البدء على تحصين عقله مِن كافة هجمات القراصنة على اختلافها وتفاوت حدتها، قبل أن يعمد إلى تأسيس ملجأ روحي منيع، يدخله كلَّما دق ناقوس روحه فجأة، وها هو اليوم يستعمل كلَّ طاقاته الفكرية والعقلية، قصد اعمالها في حقل التفكير، لعله يجد منفذا نحو ثقافة أخرى تحتضنه، تملك من الخصوصيات ما يؤهلها لاستضافته بين ثناياها الروحية قبل المادية.

لقد تعب ماركيز مِن وقاحة الثقافة الأوربية، غطرسة الثقافات الأميركية، لؤم الثقافات الشرقية ومتاهة الثقافات الأفريقية، هو يحاول جاهدا الوصول إلى تلك السكينة التي توفرها احدى الثقافات التي تصالح أبناؤها مع الآخر قبل أنفسهم على أرض الواقع قبل أن يهلكونا بالتنظير، والنفاق في التطبيق.

يمرُّ ماركيز بمنعرجات كثيرة ما دام قائما على حياته ضمن النسق الذي أسسه القراصنة، أو وفق المنهج الذي سُطِّرَ لهم منذ أمد بعيد، وبدل أن يحمل النذالة بين مفردات قاموسه، فقد اكتشف بأنَّه على العكس تماما، لقد استوعب بأنَّه قد ضمَّن هذا الكتاب المقدَّس لديه، قداسة أيامه التي يعيشها بوعي شامل، قد ضمَّ له الشهامة في أبهى معانيها، تلك التي راح يعبِّرُ عنها بكلماتٍ تحمل معاني الوفاء والإباء.

ليس ماركيز مَن يهتمُّ بسخافات التفاهات التي تنموا من حوله بشكل متزايد، وإنَّما هناك لغة يتبناها منذ فترة، وهو الذي يرى فيها إطارا قادِرًا على تحويل حياته إلى المجرى الذي يناسب تطلعاته وجموح أفكاره المتمردة، هذه اللغة لن تكون سوى لغة الحرية، بعيدا عن عبودية القراصنة أو العنصرية التي يسبحون فيها بشكل قاتم.

ما هو شائع عن القراصنة هو أنَّهم عبيدٌ مِن أسوء أنواع العبودية، هي عبودية طوعية وإرادية، بل إنَّ بعضهم راح يتفنَّنُ في عشقهم لهذه العبودية ومشتقاتها من مذلة، إهانة وخنوع بطريقة مهولة لكلِّ فرد واعٍ بما يدور من حوله، لكن أن تصحب هذه العبودية – الأكثر سوء في التاريخ – بالعنصرية، فإنَّ الأمر قد تعدَّى كافة الحدود بل قد تخطى كلَّ المعايير والموازين.

مِن النادر عبر تاريخ البشرية أن تجد عبدا عنصريا، لأنَّ أدنى درجات التفكير المنطقي البسيط يقول بأنَّ المظلوم – وهو ما يظهر به العبد – لا يستطيع أن يكون ظالما في

الوقت نفسه؛ يعني أنَّ العبد (المظلوم) لا يُمكن أن يكون عنصريا (ظالما)، ولكنَّ القرصان على أرض "الجنَّة ما وراء البحر" قد جمع بين هاتيْن الصفتيْن للأسف، فتجده عبدا للأوربي وعنصريا باتجاه الأفريقي ذا البشرة السوداء، وهي تظهر المقاربة بشكل جليٍّ تماما.

الأستاذ ماركيز ليس عنصريا ولا هو مِن العبيد، هو أعلى مقاما مِن الاثنيْن، فهو يرفض أن تُداس كرامته وعائلته، فيرفض أن يكون مظلوما أو ضحية، كما هو لا يستطيع أن يتخيَّل – لمجرَّد الخيال – أن يكون عنصريا أمام بني البشر على أساس الجنس، اللون أو الدين؛ لهذا لم يستطع ماركيز أن يكون قرصانا صِرفا.

هذه المسلّمات صارت بديهيات عند ماركيز، صارت ثوابت لا يمكن زحزحتها أو إلغاءها، لقد اختار ماركيز طريقا بعيدة عن الظلم وكلِّ ما يتَّصل به، لهذا مِن الصعب أن يكون سببا في اتلاف مكانته الإنسانية، وهذا ما دفعه إلى الوقوف مقيَّدا بتلك الوعود التي كبَّلت ضميره بشكل مطلق وغير قابل للنقاش؛ أن تجد "قرصانا" مثل ماركيز، يعيش على أراضي القراصنة رغم مقاومته العنيفة لهم، يحاول أن يفي بالوعود التي أطلقها بكلِّ رجولة وشهامة في القرن الواحد والعشرين للميلاد، فإنَّك قد وقعت في دائرة معنوية ثمينة، تستقي مِن الجماليات المختلفة النصيب الوفير.

الأمر يبدو للمدركين للوقائع التي يعجُّ بها واقع القراصنة أمرا يقترب مِن المستحيل، لكنَّ الأستاذ ماركيز ينفّذُ ما هو على عاتقه بطريقة مبهمة وشريفة للغاية، وهو مقتنع تمام الاقتناع بأنَّ ما هو بصدد إنجازه قطعة فنية من تاريخ الفن الإنساني الراقي، لهذا هو لا يتراجع أبدا عند بلوغه مراتب الوفاء بهذا النمط المبهر عاطفيا وعقليا.

لقد انتصر ماركيز ما دام يحاول الالتزام بالإنصاف في حياته، لقد ربح تلك الطمأنينة التي ترافقه خلال أيامه بشكل رائع، لقد أكَّد مرَّة أخرى على أنَّ الإنسانية لا لون لها ولا جنس ولا هي تعترف بالتمييز بين البشر أو الأفضلية بينهم، هذه الكذبة التي يرضعها الأطفال على أرض القراصنة مع حليب أمهاتهم.

العبودية مثل العنصرية هي ضدٌّ صريح للإنسانية، وكلُّ إنسانٍ يعتنق إحدى هاتيْن الصفتيْن – العبودية أو العنصرية – فهو يلغي بشكل حقير صفة الإنسانية مِن حياته، وهذا ما فهمه ماركيز وعمل على تجنُّبه بكلِّ ما له مِن قوى.

في حالات المَرَض، يشعر ماركيز بعجز قاتل، بل هو يعتبر حالات العجز هذه مِن اللحظات السيئة في حياته كلها، العجز بالنسبة له مرادف للموت، هو موت مؤقت يأخذ مِن ماركيز أحلى وأجمل لحظاته، ليلقي به صريع الفراش، فيتعذَّب معنويا بشكل رهيب، لهذه الأسباب فإنَّ العجز هو عدوُّ ماركيز الأوَّل في هذه الحياة.

بصعوبة كبيرة ينزلق جسم ماركيز فوق سريره صعودا، يشعل سيجارة، يأخذ نَفَسًا منها، قبل أن يسرح تفكيره في حديقة البقاء الإنساني، أين تعلَّم ماركيز بأنَّ اللسان المقرَّب للإنسانية هو كلُّ ما يتعلَّقُ بمبادئ هذه الصيغة الفطرية في الفرد، ألا وهو البقاء، إذ يُعتبَر هذا الأخير أولوية الأولويات لدى كافة الأحياء من الكائنات.

هذه الغريزة موجودة عند الحيوان قبل أن توجد عند أبناء البشر، فالضرورة القصوى للوجود أن يكون الإنسان متشبثا ببقائه حيا، وهذا ما ينتج المقاومة عند الإحساس بالخطر (Achtung)، وبالهروب أو الاندفاع عندما يشعر الفرد بالتهديد مهما كان نوعه، حدته ودرجته، لتصبح مسألة الاستمرارية، مسألة متعلقة بالتوقيت والقابلية للمواجهة، سواء اضطرارا أو إقداما.

وما دامت الأخطار على اختلافها هي نقيض البقاء عند البشر، فإنَّنا نجد بأنَّ هؤلاء البشر أنفسهم ينفرون مِن المساحات والمناطق التي تجعل الفرد يشك فيها بأنَّ الأخطار تتربع على عرشها، لهذا نشاهد الآلاف من اللاجئين والنازحين يفرون من مناطق الحروب، الملايين من الناس التزموا بالبقاء في بيوتهم عندما هبَّت الجائحة على العالَم كما نجد الكثير من الأفراد يصرخون طالبين النجدة، في حالات الكوارث الطبيعية على اختلافها، إنَّه الخطر الذي يجعل الإنسان يركض في كافة الاتجاهات طلبا للأمن والأمان.

الفشل في قواميس الأرض كلها هو عبارة عن خطر، وهذا ما يجعل القراصنة يهابون التغيير على اختلافه، هُم يشعرون بالخطر الذي يصدر عنه، خَطَرٌ يهدد أمانهم المهتز، بينما شريعة الحياة هي في اقتحام تلك الأخطار، فلو أنَّ نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام بقي في مكة ولم يهاجر إلى يثرب، فإنَّ مصيره هو الموت لا محالة، لو أنَّ نابليونِي بونابارتِي لم يغامر بجيشه نحو الشرق لما وصل إلى المجد الذي بلغه، لو أنَّ ابن رشد – رحمه الله لم يقدم على معاينة ابنة السلطان لما اكتشف السماعة الطبية، لو أنَّ غاليلي غاليليو لم يواجه الكنيسة لما سجل في سجلات التاريخ كأهم الفلاسفة

والعباقرة، عندما تضيق المسافة بين الإنسان والخطر، فإنَّها كفيلة بترجمة تلك الشجاعة إلى حبر أبدي لصاحبها، ليصون اسمه بشكل أزلي.

لا يشعر ماركيز بالارتياح لمساحة الأمان كسبيل للعيش والموت، لا يجد هذا "المجنون" لذة في البقاء بشكل آلي، حددته عقلية القراصنة منذ أمدٍ بعيدٍ، بل هو يرغب باقتحام الخطر مهما بلغ حجمه وشدته، لأجل تشكيل منطقه الخاص بالاعتماد على عقليته المجرَّدَة والمنزَّهَة عن كلِّ تبعية أو خضوع.

رغم كلِّ الألم الذي يشعر به ماركيز في عزِّ حالات مرضه، إلاَّ أنَّه يبذل كلَّ ما عليه مِن أجل القيام من مكانه واستغلال ما تبقى له من طاقة للوقوف، هو لم يعتد أبدا على العجز والوهن، لهذا تجدهُ يبذل كلَّ ما لديْه لتطوير نفسه، حتى يحمل كلَّ ما يستطيع باتجاه أقصى ما يمكن.

فترات المَرَضِ هي مساحات تفكير ومراجعة للذات بالنسبة لماركيز، هي مدد زمنية تشبه كثيرا حالات المكاشفة لدى الصوفية، أو جلسات الاعتراف عند المسيحيين، يحاول ماركيز من خلالها إعادة ترتيب حياته من جديد، يحدد مكامن الأخطار التي هو بصدد الإقبال عليها، لا ليتجنَّبها، ولكن حتى يقوم بغزوها مباشرة، وبكل ما يحمل من عنفوان وكبرياء.

أنا ماركيز، الفيلسوف الذي يعيش على أرض القراصنة، أرض "الجنَّة ما وراء البحر"، أعشق التدخين وأحبُّ شرب الويسكي بشكل مستمر، أعمل مدرِّسًا للغة العربية، لغة الجنة، القرآن الكريم وفطاحل الشعراء، أكتب بنهم وأقرأ بطريقة أقرب إلى التهام الكتب بدل قراءتها، أحب الجميع – أو هكذا أعتقد – وأحاول التأقلم مع الجميع، رغم أنَّني لم أستطع بلوغ هذا الهدف بعد.

ذات يوم صيفي حار، أحد أيام الصمايم الملتهبة، استيقظتُ باكرا على غير العادة عندما أكون في عطلة، أحب أن أكون مستيقظا عند وقت الفجر، لا لشيء سوى لأجل الاستمتاع بلفحة النسيم البارد الذي يهبُّ صباحا فقط، فأحاول الاستمتاع به عندما يصفع وجهي، النسيم البارد بين أمواج اللهب يصبح نعمة لا يعرف قيمتها سوى عابري السبيل مِن الحكماء في هذه الحياة، غسلتُ وجهي، بعدها شرعتُ في تدخين تلك السيجارة الملعونة التي يسمونها بالسيجارة الصباحية، أنا لا أجد لها طعما مميزا على عكس الجميع مِن قبيلة المدخنين العصماء، قبل أن أطرح على نفسي ما يلي: ما معنى الاحتفال

في عقيدة القراصنة؟ هل هُم يبتسمون حقا؟ وهل تلك الابتسامات التي ترسم لفترات قصيرة للغاية على وجوههم، هي ترجمة للفرح الذي يسكنهم؟

ما هو شائعٌ هو أنَّ الابتسامة هي تعبير عن الفرح الذي يسكن الفتى، لكن ما ألاحظه مِن حولي هو أنَّ الابتسامات صارت وسائل لمداراة الجروح أو مجاملة الحاضرين لا غير، الأمثلة كثيرة ومنتشرة بين أوساط القراصنة بصورة معروفة للحاضرين والغائبين، وهذا ما جعل شرعية التساؤل حول فحوى الابتسامة ومعانيها جائزا، بل وضروريا، خاصة عندما يعيش ماركيز على أرضٍ تتفنن في الغرق بين مياه الأحزان كما هي "الجنَّة ما وراء البحر".

أخذتُ نَفَسًا عميقا، ارتديتُ ملابسي بسرعة – أسرع من المعتاد – ثمَّ جلستُ أقرأ رواية – الخلاّن لكاتبها أمين الزاوي – وعندما وصلتُ إلى فِكرة "دار التسامح"، عاد عقلي الذي يأبى المرور على الأفكار مرور الكرام، إلى فِكرة الأرض وعلاقة الإنسان بها، الأرض هي الوحيدة التي تصنع الابتسامة الحقيقية، لأنَّ الإنسان كلَّما كان راضيا عن بقائه في أرضه، كانت ابتساماته تعبيرا صادقا عن مشاعره، ألم يضحك أفولاي وأوغسطين ببراءة منقطعة النظير خلال تواجدهما في دار التسامح!

لقد حاول ذلك المتشرد "جاك دريدا" خطف مفهوم الأرض مِن القراصنة، وبعقلية القرصان أراد الاستيلاء عليه واحتكاره لوحده، طبعا هي عصبية "شعب الله المختار"، لكنَّ الوقوف على معاني وأبعاد هذا المفهوم – المقدَّس – لدى القراصنة مثلما هو مقدَّسٌ عند الفراعنة، هو حقٌّ لا يمكن لأحد مصادرته أو سجنه في سجنه الخاص.

استرجعتُ علاقتي بالأرض، بعدما تذكَّرتُ آلاف الغرقى الهاربين مِن "الجنَّة ما وراء البحر" باتجاه القارة الأوربية، وتساءلتُ عن السبب الذي يجعل قرصانا في مقتبل العمر يفضِّل أن يغامر بحياته، أو أن يهدي بقية أيَّامه لظلام البحر الأبيض، على بقائه على "أرض" القراصنة، هل فقد القراصنة صلاتهم بالأرض؟ هل أحجمت هذه الأرض عن تحفيزهم على إبداء الابتسامة لغيرهم؟

أنا ماركيز، الفيلسوف الذي يعيش على أرض القراصنة!

لقد ولدتُ ككل قرصان هنا، حيث يولد الإنسان على أرضٍ لا يختارها، مثلما لا يختار والديْه، دينه، لغته – لسانه، لونه وبعض الأمور الأخرى منها اسمه كذلك، لكن هذا ليس مبررا أبدا للوقوف على حافة الجحيم مناديا بأعلى صوته معلنا تمرّده، لأنَّ التراب الذي

يوجد على هذه الضفة من البحر الأبيض هو ذاته التراب الذي يوجد على الضفة المقابلة أيضا، الابتسامة الموجودة على هذه البقعة مِن العالَم هي ذاتها الابتسامة الموجودة في كلِّ مكان، والإنسان يعيش بداخله أكثر مما يعيش خارج عقله وعواطفه.

أنا ماركيز، الفيلسوف الذي يعيش على أرض القراصنة!

بالعودة إلى الزمن على أرض القراصنة فإننا سنجد ما وجده ماركيز دون عناء، هو عبارة عن وهم خطير، يسير بالإنسان على "الجنَّة ما وراء البحر" نحو هاوية محتومة دون مبررات، وهذا ما يجعل الفعل الإنساني مكبلا بطريقة محكمة، فيكون المتمرد على هذه التعاليم، مجرما يستحق ما يلحقه مِن أذى.

عندما يفرغ القرصان أحلامه في قالب اليقين الذي ورثه بالتلقين منذ نعومته في هذه الحياة، فهو يستسلم لموته اللحظي بشكل كامل، وهذا بالذات ما جعل الكثير من النبلاء يقدمون على الهرب من أنياب هذه المنظومة التي تطحن العقول كما تطحن الآلات المختلفة الشعير والقمح، الأمر يكاد يدفع الجميع أو بالأحرى هو يدفعهم إلى مجالات ضيقة لا تسعهم، لتنفجر بينهم ما يدلُّ على أمراضٍ اجتماعية وثقافية رهيبة.

ليس صدفة أن يسقط القرصانُ في التقليد، هو يقلِّد كلَّ ما يراه وكلَّ ما يأخذه أمامه شعور الضعف، فيرغب بشدَّة في تقمُّصِ ثوب القوي عبر الارتماء بين أحضان بعض الصور النمطية التي لا سبيل لها سوى الانصياع وفق صيغة مشوَّهة لا إمكانية لمعالجته، فيصبح القرصان كائنا عابرا للنماذج بشكل دائم دون أن يتمكَّنَ مِن السقوط في محاولة صناعة نموذجه الخاص، كذلك الحيوان التي يحاول الأكل مِن جميع الفرائس التي اصطادها غيره، متباهيا كذبا لأنَّه هو الملك عليهم وهو الأقوى بينهم.

فقدان القدرة على نحت الطريق الخاص في الحياة هو بالضرورة فقدان لشعور الاختيار وتخلي عن حرية المسؤولية التي تجعل الإنسان يتذوق حلاوة العيش الجميلة، وبهذا الفقدان يكون القرصان قد فقد آخر الوصْلات بإنسانيته، بينما نجد بالمقابل الأستاذ ماركيز محاولا ومستميتا في المحاولة لقلب هذه المسألة، لعلَّه يتمكَّنُ من الاحتفاظ بإنسانيته حية بداخله.

واضحٌ لكافة الباحثين في القضايا الإنسانية بأنَّ الضمير يلعب دورا أساسيا في كافة حركات النبلاء، فلا صوت يعلو على ذلك الصوت الذي يرشدهم نحو نجاتهم، فيتبعونه حتى ولو قادهم عبر مسالك متشعبة ومليئة بالأشواك خلال أيَّامِهم.

لحسن الحظ وبسبب رجاحة العقل، لم يسقط ماركيز في فخِّ "المقارنة" التي يتغذى منها القرصان خلال مساره في الحياة، هو يعلم بأنّ الثّمن الروحي نتيجة السقوط في هكذا مقارنات يكون غالبا غاليا، لهذا فقد تجنَّب الوقوع في هذه النوعية من المشاكل، بل راح إلى أبعد مِن هذا، عندما شرع في إعطاء النصائح لمَن هُم حوله بعدم اقتراف هذه الجريمة الروحية التي لا سبيل للنجاة منها، سوى تجنُّبها بكلِّ الوسائل والمنافذ.

هناك مَن يحاول وضع الأستاذ ماركيز في خانة هذه "المقارنة" المشؤومة التي لطالما تجنَّبها هذا الأخير، سواء عن حسن نية أو عن غرور، وغالبا ما تتم هذه المهمة/العملية نتيجة عدم استعمال ديناميكية التفكير بشكل جاد، وهذا محتمل الوقوع بشكل عام في المجتمعات أو التجمعات التي لطالما حملت على أكتافها العنصرية والعبودية.

أن تساير القراصنة متقيا شرورهم ليس معناه التنازل عن نفسك وجوهر وجودك، أن تعيش وفقا لقدراتك ورؤياك ليست جريمة أبدا ما دمت لا تؤذي الآخرين، هذا ما هو ماركيز مؤمنا به، وهي القاعدة الأهم في حياته كلِّها، لهذا هو صامد لحد الآن في وجه تلك الهجمات التي دائما ما تتكرر من طرف القراصنة – الأسوأ في تاريخ البشر – وهذا ما يمده بالقوة اللازمة لمواصلة السير نحو أهدافه.

ما بال قومٍ لا يحتفلون سوى بالمجازر في حقهم هُم وحدهم**!** هذا ما تبناه ماركيز وهو يسلب سيجارته آخر محتوياتها قبل أن يرمي بعقبها على الأرض، لابد مِن الاستمرار في مقاومة القراصنة والعمل الجاد مِن أجل النَّجاة.

يحمِل كلُّ رجُلٍ بداخله وحشًا، تعمد الديانات، المبادئ، الأعراف، التعاليم والقوانين على كبحه وتقييده، ولكن غالبا ما يتحرر هذا الوحش حينما تُقمع لدى هذا الرجُل رغبة ما، نشوة بعينها، فيصبح حاضرا أمام الجميع بكامل توحشه، يبطش بالكلِّ دون تمييز، قد يتجاوز كلَّ الحدود، وقد يصل إلى مستويات بالغة القسوة، انتقاما لكبريائه، انتقاما لروحه، ورغبة في رؤية هذا العالَم يحترق ليصبح رمادا تذروه الرياح في كافة الأرجاء.

يوم عمل عادي للغاية، يمر على الأستاذ ماركيز دون جديد يستحق الذكر، ما عدى شرائه لسيارة جديدة فرنسية الصنع، فعلى أرض القراصنة، نادرة هي السيارات الألمانية، اليابانية أو الروسية الصنع، فالآلات الفرنسية تغزوا هذه الأرض كمظهر ثابت مِن مظاهر العبودية لباريس منذ سنة 1827م للأسف، كُرهُ ماركيز لكلِّ ما هو فرنسي لم يمنعه مِن شراء سيارة فرنسية حتى يتخلَّصَ مِن أزمة السير والتنقل التي لطالما رافقته

في أيامه السابقة، أوه! لقد تحررتُ مِن ظلم سائقي الحافلات ومساعديهم البؤساء، هكذا همس ماركيز بداخله.

قرر ماركيز في هذا اليوم الجميل أن يحتفل بسيارته الفرنسية الجديدة، لهذا بعد انقضاء دوام العمل، قصد حانة "الخشب" حتى يحتسي بعض الكؤوس من الويسكي الفاخر، ويدخن بعض السجائر كعادته خلال هذه المناسبات، دخل الأستاذ ماركيز الحانة، فصادف حفلا جميلا بداخلها، أقامه أحد زملائه مِن السكارى، وهذا بالضبط ما أحبه الأستاذ ماركيز واستحسنه كثيرا، جلس إلى احدى الطاولات، وشرع في احتساء الكأس بعد الآخر، لكن عقله راح يبحر في غياهب الماضي عندما تمكَّن منه مفعول الويسكي المعتَّق، ليتذكَّر الأميرة "صوفيا"، أميرة قلبه التي بقيت بداخله رغم رحيلها عنه في أحد الأيَّام بغتة، حينها بكى ماركيز وهو يتمايل على أنغام الموسيقى الشعبية الاسبانية في تلك الحانة الصغيرة، بكى كالطفل الصغير، فالرجُل عندما يخسر حبه يبقى أمامه اختيار أحد الحلَّيْن: إمَّا التوحش أو العودة إلى الطفولة، وكما يبدو فقد اختار ماركيز الحلَّ الأكثر لطفا، لهذا بكى من أعماقه.

وعندما جنّ الليل، وبمجرّد حلول موعد إغلاق "حانة الخشب"، خرج ماركيز ببطء شديد بمساعدة النادل، جلس خلف مقود سيارته الفرنسية، أدار المحرِّك بصعوبة بعدما بحث عن المفاتيح لوقت ليس بالقصير، قبل أن ينطلق محاولا العودة إلى منزله، كان الظلام مِن حوله حالكا لكنَّ شعور المرارة الناتج عن استرجاعه لذكرى صوفيا كان أشدَّ وَقعًا عليه، للحظة! رغب الأستاذ ماركيز بالابتعاد عن لؤلؤة البحر الأبيض، وقيادة سيارته الفرنسية إلى أبعد مكانٍ يمكن أن تصل إليه تلك الآلة، لكنه تمسك بآخر خيوط العقل الباقية بداخله، وراح يسير على طريق العودة الذي لطالما سار عليه كلَّ يوم تقريبا لمدة سنوات، كانت السيارة الفرنسية تسير ببطء، بين أنوار تضيء الطرقات بشكل باهت كما تنير الأفكار حياة القراصنة، الصورة الباهتة ذاتها تشترك فيها طرقات أرض القراصنة ليلا وأفئدة أبناء القراصنة في كافة الأوقات، فجأة، تهيَّأ له بأنَّ احدى الفتيات تلوِّحُ له طالبة أحدا يقلها، ودون سابق إنذار ودون أن يفكِّر أيضا، وجد نفسه يوقف سيارته الفرنسية، يترجل منها، يسير بخطى متثاقلة بل هي شديدة البطء، قبل أن تبادره الفتاة قائلة: سيدي! هلاَّ أوصلتني إلى حيِّ اليمامة من فضلك!

تجمَّد الأستاذ ماركيز للحظات في مكانه، تلعثم لسانه، لم يصدِّق ما هو فيه، فأرض القراصنة تمنع الفتيات من السير بمفردهنَّ ليلا، إمَّا خوفا عليهنَّ مِن القراصنة الوحوش

الذين يتربصون بهنَّ لاستعبادهنَّ، أو استجابة لتلك الأمراض النفسية التي تولد مع القرصان بمجرَّد ملامسة جسده لأرض القراصنة.

قام الأستاذ ماركيز متثاقلا مِن مكانه وهو يشعر بصداع حاد، سار باتجاه الحمَّام فغسل وجهه، قبل أن يتنبه لوجود بعض الدماء اليابسة على أظافره، غسلها بسرعة، عاد بعدها وجلس على احدى درجات السلالم، أشعل سيجارة وراح ينفث الدخان في الهواء محاولا التخلُّصَ مِن صداعه الذي أنهكه، مكث لبرهة وهو يطارد أشباحا مِن صنع أوهامه، شبح فتاة لطالما قام بمناداتها باسم "صوفيا" خلال هذيانه وهو نائم تلك الليلة، صورتها لم تغب عن ذاكرته، صورة فتاة سمراء رشيقة ذات عينيْن مائلتيْن إلى السّواد وابتسامة ساحرة، استرجع حديثها إليه وهما يركبان سيارته الفرنسية، دار حوارهما حول الخوف من السير وحيدة على طرقات القراصنة ليلا، ومدى استقلالية الفتاة على "الجنَّة ما وراء البحر"، عن الموسيقى، الكتابة والقراءة، عن المسرح والأفلام، عن الرومانسية والعنف، عن حب المال ومكانة الروح في الحياة.

"آه؛ هو مجرَّد حُلم آخر!"، هكذا همس الأستاذ ماركيز في أذن ضميره وهو يرمي عقب سيجارته التي نفذ دخانها، محاولا الوقوف ليعود إلى فراشه الدافئ، الأستاذ ماركيز مِن محبي فصل الشتاء ودفء المنزل خلال هذا الفصل البارد، استلقى في مكانه، مسح بكفه اليمنى وجهه محاولا للمرة الأخيرة استرجاع ما جرى معه ليلة البارحة، وبعد مواجهته لعاصفةٍ عقليةٍ مثيرةٍ، استطاع تذكُّر كأس النبيذ الأخير الذي شربه في حانة "الخشب" ليلة أمس، قبل أن تتسارع الأحداث في عقله فيتعب ويوقف عملية اجهاد الذاكرة هذه على الفور.

انتبه إلى هاتفه المحمول وهو ينبهه لوجود مستجدات على حسابه ضمن "واجهة الكتاب" أحد مواقع التواصل الاجتماعي العالمية، وبالفعل التقط الأستاذ ماركيز هاتفه المحمول بلهفة الطفل الذي يلتقط لعبته المفضلة، وبدأ بتصفح الأخبار المختلفة التي تظهر على جداره الإلكتروني بأربع لغات مختلفة، أغلبها يظهر بالإنجليزية، العربية، الاسبانية وبعضها يظهر بالفرنسية – اللغة التي يتقنها ولا يحبها – وفجأة!

شاهد خبرا لم يكن ليخطر أبدا على باله، الأخبار مثل الأيام، بعضها لك وبعضها الآخر عليك، بعضها يرفع ضغط دمك غضبا وتعصبا، والبعض المتبقي يجعل وجنتيْك تتورد احمرارا خجلا أو استحياء، فرحا وسرورا، لكن ما قرأه الأستاذ ماركيز ذلك اليوم لم يكن خبرا عاديا، خبرٌ سريالي وكأنَّه خرج ما بين الفهم والوهم، ما بين الخيل والخيال،

ما بين الفأس والكأس، ما بين الروح والبوح، خبر ليس ككل الأخبار التي سمعها أو قرأها من قبل، والثابت فيه أنَّه سيغيِّر حياته إلى الأبد، فحياة ماركيز في تلك اللحظة ليست الحياة التي اعتاد عليها منذ ولادته.

من بين الصفحات التي كان يتابعها الأستاذ ماركيز على مواقع التواصل الاجتماعي هي صفحة المدينة التي يسكنها منذ طفولته، مدينة "لؤلؤة البحر الأبيض"، وفي ذلك اليوم، في تلك اللحظة، في ذلك الزمن الذي خرج مِن اللا-زمن، قرأ خبر ظهور جثة فتاة معلقة على احدى الجسور عند مفترق طرق منطقة "الكُدْيَة"، حيث جاء في تفاصيل الخبر، بأنَّ الجثة كانت معلقة مِن رجليْها، وبعض أطراف جسدها كانت منتزعة، الغريب في الأمر أنَّها كانت حليقة الرأس، فارغة مِن الدم تماما، تضع على وجهها مكياجا كاملا، تلبس فستانا أزرقا جميلا، وتنتعل حذاء إيطاليا غالي الثمن، والأغرب أنَّ الجثة كانت تفوح منها عطور خاصة بالرجال، رجَّح خبراء الشرطة العلمية بأنَّها من نوعية فرنسية فاخرة، وعلى مسرح الجريمة تركت حقيبة يد ذات صنع ياباني متقن، بها هاتف محمول أميركي الصنع، لم يستطع التقنيون اختراق كلمة سره، لكنَّ الخبر أكَّد للجميع بأنَّ شاشته أظهرت عبارة واحدة تقول: الخطر والأنوثة كالقلم والمطرقة، لا يلتقيان.